مقابلة مع دولة الرئيس ميشال عون

(السفير ٢٠٠١/١٢/١٩)

في شقة عادية، في أحد شوارع الدائرة السابعة عشرة، في باريس، يسكن اليوم العماد ميشال عون على أمل العودة إلى لبنان، حين تدق الساعة التي تتلاءم أحداثها مع الخيارات التي وضعها أهدافا يعمل من أجل تحقيقها. ولكن ليس قبل ذلك ولو بلحظة. ثمة شعور يمتلك زائر هذا الرجل الذي لامست سنواته السادسة والستين، بأنه يعمل اليوم وكأنه عائد غدا الى بيروت. كثيرة هي موجات التفاؤل التي تتلمسها في تصرفاته، وفي عباراته، وفي نظرته إلى المستقبل. تسأل عنها المحيطين، من مسؤولي <<التجمع من أجل لبنان>>، فيشيرون إليك، بأنها غير تقليدية، ويقولون: لم ييأس يوما ولكنه لم يبد هذا القدر من التفاؤل إلا مؤخرا.

ولكن عون الذي انفتحت أمامه قبل أسابيع عدة، طريق واشنطن بعد طول إقفال، يبتعد عن التصريح بذلك، فتجربة الأمس المرة تدفعه الى الاحتماء في دائرة الحذر والمراقبة، من دون أن يتمسك في المقابل بإعلان أي قراءة مناقضة لتطلعاته. على بُعد أكثر من ١٢ سنة على إقصائه عسكريا عن بعبدا، في ١٣ تشرين أول ١٩٩٠، لا يبدو أن <<رئيس الحكومة العسكرية>> السابق قد تغير، ولو قيد أنملة، عما كان عليه. تطلعاته هي هي... أفكاره هي هي... نبرته هي هي، ولو قدر له أن يعود فيرتدي البزة العسكرية لظننت أن الزمن عاد بك كليا إلى الوراء. لا يهادن أحدا ولكنه في آن يطرح نفسه للجميع... يقيِّم الناس بقدر ما يقتربون من خياراته، حتى تصطدم بمدى قساوته على مجموعات كنت تعتقد بقراءتك لخطها الكلامي أنها أقرب المقربين إليه... قساوة تصل الى حد مساواتها بمن هم أعداء ثابتون له على اعتبار أنها <<وجه آخر لعملة واحدة>>.

منذ انتقاله من السفارة الفرنسية في مار تقلا الحازمية الى فرنسا، حيث منح حق اللجوء السياسي باتفاق بين الرئيس الراحل فرانسوا ميتران والحكومة اللبنانية، عكف على الكتابة حيث دوَّن الكثير عن تجربته <<وسجنه في الدرج>>، ثم راح يكتب مقالات أسبوعية... ولكنه قبل فترة توقف عن التعليق على الأحداث <<بعد ما كنت قد أشرت، وقبل ١١ أيلول إلى الحرب العالمية الثالثة، وبعده إلى مفهوم الإرهاب لدى الأميركيين، قبل أن يوضحوه هم، في ضوء أحداث ١١ أيلول>>. توقفه عن الكتابة يعود إلى أنه <<حين يبدأ العمل لا تعود هناك فائدة من الكلام، فالمرء ينبه قبل الأوان ويحذر، لربما كان في ذلك مصلحة>>. الأنترنت أهم وسيلة لديه للاطلاع على التطورات. ولديه فريق عمل موزع بين لبنان وسيدني وملبورن ونيويورك وواشنطن وباريس، ينتقي له المقالات ويعرّبها ويرسلها إليه عبر موقعه البريدي على الشبكة الألكترونية.

صحته تبدو جيدة <<فالوزن منيح والرياضة منيحة والأكل كذلك>>. مع تطورات الحادي عشر من أيلول الأخيرة، وزيارته الى واشنطن في آخر ذلك الشهر، حاولنا الوقوف على رأيه بما يحدث على الساحة اللبنانية والاطلاع على المعلومات المتجمعة لديه، لكنه رفض على اعتبار أن تجربته مع الأحاديث الهاتفية غير مشجعة حيث يصار الى <<تحريف المواقع الحساسة من كلامي>>. وعرض أن ننتقل إليه بالجسد والفكر، ليخص <<السفير>> بما يرغب في أن يقوله، فكان ما أراد.

يريد العماد عون أن يحاور سائر الأطراف، ولكنه يرفض أن تكون نقطة الانطلاق دفعه الى الرضوخ لإدانة المرحلة التي كان هو فيها، أبرز صانعي القرار الداخلي... وتجده يهزأ من الدعوات المتكررة الى الحوار، فتجربته معها مرة <<إذ يدعونك الى توقيع ما يريدون باسم التحاور، وإلا فما معنى طلبهم منك الموافقة المسبقة على المواضيع التي يجب أن تناقش>>. نظرته الى سوريا ودورها في لبنان لا تتبدل، والحجج التي يقدمها لدعم توجهه لا تنضب، ولكنه يرفض بشكل

جذري وصفه بأنه ضدها بل <<أنا مع استقلال وسيادة لبنان وسوريا ضدنا، فلا عدائية لدينا ضد سوريا>>. معارضته حادة لرئيس الجمهورية العماد إميل لحود. من دون أن تسأله عنه، يبادر الى فتح نيرانه عليه. وعلى قاعدة عدائه للحود تنسحب هجوماته على جميع المعارضين <<الذين يفتحون أبوابهم أمامه>>، مع أنه قال لهم بصراحة: قولوا ما تشاؤون وسوف نفعل ما نشاء>>. لا يزال متمسكا بخيار المقاومة <<الغاندية>>، ولكنه يستنكر كيف انقلب مفهومها لدى بعض السياسيين بحيث باتت تعني لهم موقفا ضد الأضراب وضد التظاهر. يعد عون بأن <<مقاومتنا ستبقى سلمية، طالما ان الأمور هي تحت سيطرتي، ولكن إذا فقدنا هذه السيطرة فلكل حادث حديث>>. يهاجم <<لقاء قرنة شهوان>> بقوة على اعتبار أنه أصبح <<لقاء الكلام بكلام>> ويعتبره عملا احتوائيا للمعارضة، ووجها آخر للديكتاتورية السائدة في لبنان. لا يهادن المقاومة التي يخوضها <<حزب الله>>... هو يقدر دماء الشهداء، ولكنه يعتبر ان <<حزب الله>> أضحى اليوم رديفا للجيش اللبناني، ويدخل لبنان، لحساب غيره في مواجهة مع المجتمع الدولي. يحدد لموقفه مفصلا زمنيا إذ يستذكر موقف الحزب الداعم لسوريا، في وجه المناهضين لها في ١٣ نيسان الماضي.

يتحضر العماد عون لزيارة جديدة للولايات المتحدة الأميركية، يتم التحضير لها حاليا. وكان عون قد انتقل بناء على دعوة وجهت إليه من مجلس الشيوخ الأميركي، الى واشنطن في آخر شهر أيلول الماضي، حيث <<اجتمع الى مطابخ القرار>>. يقول إنه لمس هناك تجاوبا وتفهما كبيرين. يتوقع حدوث أشياء كثيرة <<في منطقتنا، وما تكلمنا عنه بدأ يظهر على الأرض ومن الواضح ان الجماعة مصممون على تكملة ما صمموا عليه الى الآخر>>.

ويعتبر ان ما يحصل حاليا هو <<حرب عالمية ثالثة، ودائما بعد الحرب العالمية تصبح هناك إعادة نظر. وهذه الحرب ستنتج شرعة جديدة، والولايات المتحدة كقوة بحد ذاتها تزلزل العالم وتغيره>>. وهو يظن، بقوة، ان ما عمل من أجله منذ ١٢ سنة، أصبح اليوم قابلا للحياة. هذا غيض من فيض مما قاله عون ل<<السفير>> عن كل الملفات المطروحة. فماذا فيها؟

حلم العودة

كانت بداية الحديث عن العودة الى بيروت وعما إذا حلم يوما بأنه فيها، بعد طول فراق. <<لا لم أحلم، يجيب، ولكن أعمل دائما للعودة الى بيروت. هناك من يقول ان الجنرال يعمل بعكس اتجاه هذه العودة. فأنا أريدها أن تحصل، ولكن ليس كما يريدها الآخرون، إنما كما أريد أنا.. أي الى وطن سيد. ولكن بهذا التوجه ثمة من يشبه العماد عون بالعميد الراحل للكتلة الوطنية ريمون إده. يوضح القائد السابق للجيش: <<أنا لا أضع شروطا وأقبع في الفندق، بل أعمل على تحقيق الشروط الموضوعية للعودة. انها هدف أضعه أمامي، وأعمل من أجل توافر شروطه. وهذا الفرق بيني وبين المرحوم ريمون إده. أنا لا أتكلم وأتفرج، بل أسافر وأحاضر وأجاهد... ولا أنام على حرير>>. هذا يعني بالنتيجة، انه لن يعود الى بيروت قبل خروج الجيش السوري.

يعود إلى التوضيح: <<أو على الأقل وجود اتفاق على موعد هذا الخروج>>.ويتابع: <<الجماعة دخلوا لئلا يذهبوا. الله يرحمو رينيه معوض، لقد دفع حياته ثمن هذه الغلطة، لأنه اعتقد انهم إذا اطمأنوا الى الحكم القائم في لبنان سيذهبون، والآن ينصبّون علينا، في كل مرة رئيسا لديه تبعية أكثر من الآخر، حتى يستمروا في لبنان. ان لبنان لم تعد لديه بعد إمكانية حياة فماذا بقي فيه؟ أنا أفترض ان النظام السوري هو أفضل نظام موجود يساعدنا حاليا، ولكن ما عنده لا يرضينا. ان أجمل ما لديه لا يرضينا. فنحن شعب خلق ليعيش حرا. ولدنا في نظام ديموقراطي. قد نكون نحب كثرة الكلام، وهم لا. فنحن نريد ديموقراطية وحريات وحق الاختلاف عن الآخر>>. هكذا يقول عون، ولكن الواقع في لبنان، لا يبين أبدا ان الوجود السوري يحول دون ممارسة هواية <<محبة كثرة الكلام>>، ويكفي للتأكد أن ننظر الى ما يقوله البطريرك الماروني الكاردينال نصر الله صفير وزواره والقوى السياسية عبر الصحافة.

وينتفض عون على هذا المنطق ويهاجم <<الكلام من أجل الكلام>>. ويقول: <<أنا أعتقد ان هذا الكلام يؤذي أكثر مما يفيد. فما معنى هذا الكلام، عندما نعود ونؤيد وزراء ونوابا يحكمون بالذهنية القائمة حاليا التي لا تحترم الحريات ولا الدستور، وكلها مبنية على قرارات شخصية تتجاوز حدود القانون وتتسم بالتعسف>>. وفي انتقاد عنيف للمعارضة، ولكن من دون أي تسمية، يتابع عون فكرته: <<أنا عندما ألقي خطابا من بكركي، وأعود وأستقبل الرئيس الذي هو متعسف ولا يحترم الكلام الذي أنطق به والمطالب التي أحددها، لا يعود لكلامي أي معنى، إذ اننا نعود ونقوم بفعل خضوع، فنحن نزايد حينها، في الخضوع.. لا، ان المطلوب أن يكون هناك على الأقل، مقاطعة وعمل معين تصعيدي ضد الوضع القائم. إنما هذه الرتابة في الكلام والقبول بالأمر، أصبح نوعا من التطبيع، فأنتم تتكلمون قالوا كما تريدون، أما نحن فنعمل كما نريد. إنها أرذل أنواع المعارضة وأبشعها لأنها تطبع الوضع>>. (هذا الكلام يبدو لسامعه الآتي، مباشرة من لبنان، كأن لا علاقة له بوقائع الميدان. فهموم اللبنانيين تقول له أصبحت كبيرة وكثيرة، تبدأ بأولئك الذين هربوا بعد التحرير إلى إسرائيل وتمر بعدم توافر فرص العمل وصولا الى الحاجة الى الخبز اليومي، في حين ان مطالبه هو جذرية، ولا تلتقي مع الحاجات الملحة أو تقبل بالتوفيق في ما بينها. لذلك فإن العماد عون يظهر وكأنه في ضفة والعالم في ضفة أخرى، لذلك يقال عنه انه يمارس السياسة وهو يحلم).

لحود وصفير

لا يستفزه هذا التوضيح، ولكنه يتابع دفاعه عن منطقه بالهجوم على هؤلاء: <<بالعكس، فأنا قد أكون أعمل مع أناس تنقصهم الرؤية. أنا دائما حذرت من الوضع الاقتصادي، وكررت ان المسيرة المتبعة ستوصلهم الى <<المهوار>>. وكانوا يردون عليّ بأنني رجل وهمي والوضع ممتاز للغاية. ان الناس يعيشون في لحظتهم أو في الماضي. وعندما تشير إلى أمر مستقبلي، يقولون لك إنه <<خرفان>> ولا يفهم شيئا ويهلوس. وحين تصل الى تلك المرحلة يقولون لك، لم نعد نستطيع، لقد أصبحت لدينا هموم. ان الهموم التي يعيشها لبنان الآن، سبق لي ونبهت اليها في الأعوام ١٩٩٣ و١٩٩٤ و١٩٩٥. ولكن ماذا تستطيع أن تفعل مع أشخاص، إذا كانوا فاقدي الذاكرة ومع سياسيين يساعدون الناس حتى يفقدوا الذاكرة وأحيانا مع بعض الإعلام، لتحقيق الهدف عينه>>.

<<الآن يقولون إن لدينا هموما. فماذا تريدني أن أفعل هل أعود وأسير بخطهم؟ لا. أنا الآن أنبههم على أخطر مما حصل، ولكنهم يقولون لي إنهم لا يستطيعون. فعندما كانوا مرتاحين قالوا لنا إننا مخطئون وعندما تعبوا قالوا، لم نعد نستطيع. إذاً، هذه هي القدرية التي لديهم، وعدم قدرتهم على التطلع الى المستقبل يوصلهم الى هنا، أما أنا فمرتاح ضميريا، وأقوم بواجباتي وأحاول دائما تنوير الناس قدر ما يمكنني>>. هذه القراءة التي يقدمها عون للسياسيين اللبنانيين، وفي مقدمهم المعارضة المسيحية، تظهره وكأنه طائر يغرد خارج سربه. تقول له ذلك، وتشير الى انه في آخر لقاء جمع البطريرك صفير واللجنة التنفيذية في <<التيار الوطني الحر>> طلب صفير تحييد الرئيس لحود في هذا الظرف الدقيق.

وتسأله: لماذا لا ترضى بتلبية هذا المطلب الصادر عن الزعيم الروحي والسياسي في لبنان اليوم؟

يجيب: <<كل شيء له علاقة بالشؤون الدينية، لا أجادل في شأنه البطريرك، أما بالنسبة للموقف السياسي، فلي الخيار بأن أؤيده أو أرفضه. فأنا أعتبر أن رئيس الجمهورية هو الطرف الأبشع في الأزمة اللبنانية.. فكيف أحيّده عن أزمة هي كلها من صنعه>>.

عفواً، هل أن الأزمة اللبنانية هي من صنع الرئيس إميل لحود!؟

<<هو زادها تفاقما ويزيدها تفاقما ( ) يقول دولة القانون، فماذا يوجد منها في لبنان ( ) فلماذا يجب أن أهادنه أو أن يهادنه أي مواطن لبناني. إن العيب هو في المطالبة بمهادنته، وليس العيب في مهاجمته. لذلك هذا شيء شواذ، وأنا لا أستطيع العيش في الشواذ>>.

ولكن لماذا لا تعتبر أن هناك رسالة أبلغت من الرئيس لحود إلى البطريرك صفير، وأنت لا تعلم بمحتواها وقد تصب في صالح الشعارات التي ترفع، هي ما دفع الى توجيه هذا الطلب؟

إن الإنسان إذا غابت عنه الأحداث حاليا، يفتش عن التجربة السابقة، ففي الشرع الإسلامي، هناك ما يتخذ بالقياس. فأنا لا أقبل النصائح التي أعطاها أهل الطائف إلى البطريرك. فمن أنجزوا الطائف لا أقبل بنصائحهم، لأنها أدخلتنا في دوامة الخراب. والآن لا أعتقد انهم أصبحوا مدركين لواقع لبنان أكثر من الماضي، طالما ان وضع لبنان يتدهور. لو أن وضع لبنان مع هذه النصائح يتحسن، فكنت مُلزما بالرضوخ للواقع التحسني، ولكن طالما أن الوضع يتدهور، لا أحد يستطيع أن ينصحني أن أسير به، بل أفضل أن أبقى خارجه وأحتفظ بحرية حركتي>>.

ولكن يقال إن المعارضة التي تتحدث عنها، هي التي لا تسمح بتعافي الوضع العام، لأنها لا تعطي الوضع الاقتصادي مزيدا من الدفع بالنظر لارتباط الاقتصاد بالسياسة. فدائما ان كبر الشعارات وعدم تحقيقها تصيب يوما بعد يوم، بمزيد من الإحباط خصوصا وأنك متهم بعدم الواقعية؟

أنا أحدد الواقعية بمعرفة الواقع بشكل صحيح والسعي الى تغييره نحو الأفضل. أما الواقعية التي يحدثونني عنها والتي أراها وألمسها من خلال الكتابات وتصرف المسؤولين وتصرف المجتمع إجمالا، هي قبول بالواقع والقبول بأن يتدنى أكثر فأكثر.

أنا أدفع الأمور صعودا، وهم ينزلون تحت تأثير الواقع إلى أسفل. فإذاً، هم من يجب أن يصححوا وليس أنا. فالواقع أراه بشكل جيد، وهو يجب أن يصحح ويجب ألا نقبل به. هناك واقعية الإنسان وهناك واقعية الحيوان. فهناك واقعية الخروف الموضوع في الحديقة، يأكل ما نرمي له به، فيأكل أو يجوع، ينصح أو يضعف، وحين يأتي (عيد) المرفع، إما أن تذبحه وإما أن تبيعه. وهناك واقعية الإنسان الذي يرفض الواقع السيئ ويعمل على تحسينه. وواقعيتي أنا هي واقعية الإنسان وليست واقعية حيوانية. فحين تقول لي ان تقبل السوري بواقعية، فأين هي حدودها، طالما ان وزير الداخلية يعجز عن تغيير رئيس مخفر، إلا إذا وضع ضابط المخابرات السوري توقيعه. هل هذه هي الواقعية التي عليّ أن أقبلها؟

لا لن أقبلها (...) ولا يمكنني من هذا المنطلق أن أقبل بواقعية الناس، إذا كنت رافضا لواقعهم أو رافضا مستوى قبولهم للأحداث. قد يكون بيني وبين الناس فارق شاسع، إذ ان سقفهم يأتي دون القاعدة التي أقف عليها.

منذ ١٣ ت١ ١٩٩٠ حتى اليوم، لديك موقف ثابت ولكن... يكون تحجراً، إذا أثبتت الأحداث أنه خطأ...

ليس هذا المقصود، إنما ثبات الموقف يؤكد أنك لم تستطع أن تغير الأمور، بل هي تتفاقم سلبا، وبات عليك أن تتغير، خصوصا أن شيئا لم يطرأ عليه تطور؟

بل تغيرت الأمور نحو الأسوأ، ولكن لست أنا المسؤول، بل هناك نظام حكم قائم وسلطة وصاية قائمة، هم المطالبون بتحسين الأوضاع. وإذا كنت لا أستطيع المساهمة بهذا التحسين، فإنني عرضت لتحسينها بمقابلة تلفزيونية في أيلول ٢٠٠٠، ولم يأتني منهم سوى الصدامات والاتهامات. لقد قلت لهم ما هو عرضي، وأشرت إلى أنهم إذا كانوا يستطيعون تخليص لبنان، كما يسيرون، سأكون ملزما بالتصفيق لهم، لأن الشمس ستسطع على الجيد كما على السيئ. إذاً أنا عرضت نفسي، ولكنني مرفوض لأنه من المفروض أن أكون ضمن القياسات التي يضعونها لي، وضمن هذه القياسات سيزداد التدهور، ولن يتحسن الوضع بل سيزداد الموضوعون بالقفص واحدا، ولكن لن تزيد الحرية ولن يتحسن الوضع الاقتصادي، إن المسألة لا علاقة لها بالطبع والتطبع، إنما الظروف الموضوعية وشروط العمل الموضوعة في لبنان غير صالحة للنهوض بلبنان وتحسين الوضع اللبناني.

تقييم التجربة

إزاء هذا التوجه، تسأل العماد عون عما إذا كان أجرى تقييما للفترة السياسية التي تسلم فيها المسؤولية، خصوصا انه تسبب بثلاث حروب... عند الكلام على تسببه بثلاث حروب يثور ويقول: <<إن الدبابات السورية كانت على بعد ثمانمئة متر من

قصر بعبدا. وعندما تشكلت الحكومة الانتقالية كانت ردة الفعل الأولى عليها عدم الاعتراف بشرعيتها، مع أنها تألفت وفق أحكام الدستور. ومن ثم بدأ الحصار الاقتصادي علينا. وعندما فتحنا المعبر (المرفأ) وأقفلنا المرافئ غير الشرعية استجبنا لمطلب دولي، فقصفونا، فرددنا حينها بأن قصفنا القوات السورية، وليس الميليشيات، وكشفنا بذلك أن الحرب لم تكن أهلية. إذاً أنا لم أشن ثلاث حروب>>.

وهل هذا يعني أن ثلاث حروب شنت عليك؟

الحرب الثالثة، أي ١٣ تشرين ١٩٩٠، أنا صنعتها، لأنني رفضت الاستسلام لأمر الواقع الدولي، وقلت إن باستطاعتهم أخذي بالقوة، وحين حصلت هذه الحرب قلت إنني هزمت عسكريا. فحرب ١٣ تشرين الأول، أنا من فعلها، وهذه مسؤوليتي، ولكن الحرب مع <<القوات>> والسوريين، أنا لم أصنعها>>.

ولكن هل تعتبر أن تداعيات حرب ١٣ تشرين الأول، بكل ما أنتجته من موازين جديدة، كانت بسيطة، خصوصا ان هناك من يقول إن هذه الحرب، بالتحديد، هي التي جعلت تنفيذ اتفاق الطائف غير متوازن وغير صحيح؟

إذا، لم تكن هناك نيات حسنة أبدا، وبالتالي كان من حقي أن أقاوم اتفاق الطائف، لأنه لو كانت النيات حسنة، لما كان يجب أن تتغير المعادلات. ف١٣ ت١ يتحمل مسؤوليتها ميشال عون فقط، وليس كل لبنان. فلماذا تتحمل التداعيات السيئة القوى التي شنت لصالح الطائف الحرب ضدي؟ أضف الى ذلك، ان ما حصل هو مبادرة أخوية، فكيف تتغير؟

ولكن، جنرال، هل هناك في السياسة ما يسمى مبادرات أخوية، أم أن هناك لعبة توازنات ومصالح وسلة أهداف؟

إن الأطراف المسيحيين الذين غطوا الطائف هم من ارتكب الخطأ الأساسي، لأنهم ساروا به من دون شروط واضحة للانسحاب السوري، كما كنت قد طلبت (...) في الأساس على ماذا كان الخلاف بيني وبينهم، وكيف يتجرأون، من أكبر المراجع الى أصغرها، سياسية كانت أم دينية، على التكلم على اتفاق الطائف وعلاقة ١٣ تشرين الأول بعدم تنفيذه؟ ماذا كنت أطلب سوى ضمانات دولية لتنفيذه، ولماذا لم يساعدوني علي تحقيق ذلك بدل أن يشنوا علي الحرب. هذا ما لا أسلمح عليه أحدا، كائنا من يكن، لأن الجميع قصر في المحافظة على الحد الأدنى، من ضمانة لتنفيذ اتفاقية دولية، وطار الاستقلال والسيادة لعدم الضمانات.

وهنا يقرأ العماد عون مقتطفات من رسالة بعث بها في ١٩٨٩/١٠/٢٩، الى الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران، وطالب فيها بضمانات دولية لتفنيذ اتفاق الطائف. وعندما ينتهي يضيف: <<هذا هو تحفظي. وهنا قصروا. فما المصيبة لو أعطوا ضمانات دولية وساندوا اتفاق الطائف بقرار من مجلس الأمن (...) الآن عليهم أن يتحملوا مسؤولية ما فعلوه وليس علي أن أتحمل أنا المسؤولية. إن هموم لبنان تبقى كبيرة علي وأحملها، ولكن ضميري مرتاح>>.

ولكن، على الرغم من كل هذا، وبقراءة دقيقة للواقع اللبناني، ألم تتمن لو كنت قد وقعت على اتفاق الطائف، وظهرت كأحد أبطاله؟

بالعكس، كنت قلت إنني خنت وطني، ولربما كنت قد توصلت الى الانتحار، لو وقعت.

إزاء ذلك، يبدو العماد عون في حركته السياسية في بيروت حليفا لقوى شنت حروبا عليه، وسارت باتفاق الطائف، أكثر مما هو حليف لقوى لم تكن لها أي علاقة باتفاق الطائف، الأمر الذي يشير الى عداء له مع السلطة الحاكمة وليس مع الموافقين على الطائف.

يرد عون على هذا الكلام بالإشارة الى أنه ليس، في الأصل، على خصومة سياسية مع أحد، حتى مع من حاربه من أجل اتفاق الطائف.. <<فأنا يقول لا ألعب دورا سياسيا بل أقوم بواجب وطني. والحكم القائم اليوم يؤذي هذا الدور الوطني لأنه مستسلم (...). فأنا لا خصوم لدي إنما لدي إما أعداء وإما أصدقاء. هناك أناس يتوهمون أنهم خصومي، أن لا أعتبرهم

كذلك. فإذا كانوا ضمن الخط السيادي ويريدون لبنان مستقلا، فهم حلفائي. قد يكون هؤلاء فاترين. ولكن الذين يسعون الى ترسيخ الاحتلال هم أعداء، من دون شك>>.

أنت تحب الفاترين؟ أعوذ بالله. أنا مسيحي. وكمسيحي لا أرفض أحدا وأعترف للآخر بحق الاختلاف، وأحبه. ولكنني أتقيأ الفاترين، وهذه من الوصايا المرسلة إلينا.

١١ أيلول

وننتقل، بعد هذه الجولة الطويلة على الآفاق اللبنانية الداخلية، لسؤال عون عما يعني له الحادي عشر من أيلول، وهل يعتبر ما تعرضت له واشنطن ونيويورك أعمالا إرهابية أم هي تمثل ثورة يائسين على قوة عاتية.

يجيب: <<ما حصل في ١١ أيلول كان بالنسبة إلي منتظرا. ولقد قلته كتابة، إذ ذكرت أن الارهاب سيصل الى مطبخ السياسة الواقعية، ولذلك أسباب عدة، ومنها عدم التوازن في العالم، ووجود لغتين، ووجود أنظمة أوتوقراطية وديكتاتورية تولد منظمات إرهابية. فهناك مزيج من المسؤولية مترافق مع واقع متردٍ في العالم، أوصل الأمور الى هنا>>.

ويسلمك العماد عون كتابا مفتوحا وجهه الى حكام العالم، لمناسبة ذكرى الاستقلال، في مقره السابق في <<لاهوت ميزون>> في ١٩٩٥/١١/٢١، يقول فيه: <<لا أحد بمنأى عن العنف الذي يولده انفجار المشاعر العرقية والأصولية، والذي تعجز أي حدود عن احتوائه. ألا يمكن لهذه الجرائم التي تغذت في مختبرات الواقعية السياسية أن تصيب بالعدوى أولئك اللامبالين أنفسهم والمشاركين الذين تركوها تنمو؟>>.

ويتابع عون كلامه: <<المهم الآن، هو ماذا يمكن تقديمه للعالم، ومدى تصفية ما يسميه الأميركيون إرهابا؟ فما حصل في أميركا، في ١١ أيلول، هي عمليات تطال أناسا لا علاقة لهم بأي موضوع. ويجب ألا ننسى أنه وضعت في اتفاقية جنيف أصول للحرب، حتى لا تطال الناس الذين لا يدخلون فيها، أي أنها تحمي المدنيين. وجاءت العمليات المسماة إرهابية لتؤكد أنه لا يوجد أحد خارج اللعبة، وبالإمكان ضرب أي هدف مدني يتم اختياره. لقد تغير المفهوم. والأميركيون يعودون الآن الى المفهوم الأصلي ويريدون تطبيقه ولديهم القدرة لذلك ويجدون الحلول اللازمة>>.

ما هو هذا المفهوم الأصلي؟

أي أن كل من لا علاقة له بالحرب يجب ألا تمسه، وإذا حصل ذلك يكون العمل إرهابيا. فلا تستطيع، مثلا، أن تقتل الأميركي في فرنسا وتقول إن هذا عمل حربي. لا، إنه عمل إرهابي. هذا هو المفهوم الأميركي. وحرب الأميركيين على أفغانستان، هل تتلاءم مع الاتفاقيات الدولية؟ لا تفاصيل لدي عما حصل في أفغانستان. أنا اتكلم في القواعد العمومية. عسكر ضد أهداف عسكرية. ولكن في الحرب يحصل ما يسمى بالخسائر الجانبية، أي ان مدنيا إذا كان يمر وأصيب او ان عسكريا يضرب مركزا عسكريا فيصيب مركزا مدنيا، والأميركيون أنفسهم قد اخطأوا واصابوا أهدافا خاصة بهم وقتلوا جنودا من صفوفهم. إذاً، هذه اخطاء وليست عملا متعمدا، كوضع متفجرة في علبة ليل أو في طائرة.

هل تعتبر ذلك عملا إرهابيا؟

أكيد.

وهذا المفهوم يعكس نفسه على سلوكيتك السياسية؟ بالتأكيد. لقد كان التحدي الكبير حين كنا في موقع المسؤولية، هو اننا قاومنا وقاتلنا، ولكننا لم نقترف اغتيالا سياسيا، لأن الاغتيال السياسي، بعرفي، هو أيضا إرهاب. وهذا ما لم نمارسه، لأننا نعتبره مخالفا لشرعة الحروب التي كان بلدنا قد وقع عليها. ومن هذا المنطلق، تدخلت مرتين، حين كنت في مركز مسؤوليتي: الأولى، حين تم تطويق (ايلي) حبيقة، فلم نسمح ان تنتهي الأمور بتصفية، كما هي العادة، والثانية حين تم توقيف مجموعتين لجنبلاط ونبيه بري، في نطاق مسؤوليتي، فتدخلت وأوصلنا المجموعتين بخير.

إذا وصل شبابك الى مرحلة اليأس، فهل يمكن ان تفكروا بعمل عسكري في لبنان؟

نحن مقاومتنا سلمية. وهي حتى الآن، لا تزال سلمية، ونأمل ان نصل الى نتائج ايجابية بهذا الاسلوب. وطالما ان الأمـــور هي تحت سيطرتي، ستبقى على الوضع الحالي. ولكن إذا فقدنا السيطرة، فلكل حادث حديث.

أنت تكلمت عن المقاومة الغاندية، فهل هي خيار مستمر؟

نعم انه خيار مستمر حتى الآن. ولكن أصبح لهذا التعبير مفهوم خاطئ في لبنان، بحيث يعتبرونه مقاومة للحق في داخلـك، من دون ان يحق لك ان تتظاهر او ان تنفذ اضرابا. بينما <<المقاومة الغاندية>>، في الواقع، تتمثل، في ان غـاندي كـان ينزل على الأرض، فيسكر الشوارع وسكة الحديد وغيرها. هذه المقاومة اصبحت مرفوضة في لبنان، وبخاصة في مفـهوم بعض الناس، وهذا خطر للغاية. فمنذ مدة فهمت، انهم صاروا يستنكرون الاضراب والتظاهر على انهما أعمال عنف، فـإذا كانت هذه أعمال عنف فيجب ان يعدلوا الدستور اللبناني، وينزعوا العنف من الدستور اللبناني، لأن هذه الأعمـال تقرهـا القوانين ويتضمنها الدستور. وأنا أتأمل ان تصحح الصحافة هذا المفهوم، بحيث لا يدخل البعـض مفـاهيم خاطئـة علـى المقاومة الغاندية.

الدستور اللبناني والعلمنة

ونسأله عما إذا كان ملتزما بالدستور اللبناني فيجيب:

<<بالتأكيد أنا ملتزم بالدستور حتى تغييره شرعا. ولتغيره أنت بحاجة لكل المسلمين ونصف المسيحيين، او لكل المسـيحيين ولنصف المسلمين. إذاً ليس هناك من مجال لأي تعديل فئوي. يقولون اننا لا نعترف بالدستور ونريـد ان نلعـب بـه. ان الدستور ينص على آلية لانجاز الجمهورية الثالثة، ولا يمكننا ان نتبع، كما يفعلون هم، الاسلوب الانقلابي، ان الجمهوريـة الثالثة لا تكون بمرسوم. ان الصلاحيات غير المتوازنة في الحكم يضيف مضرة للبلد، فإذا كانت رئاسة الجمهورية اقـوى فلتأخذها أي طائفة أخرى، ولكن المهم ان تثبت أرجل الكرسي كلها، بدل ان يكون هناك ما يهتز. لتتنق كـل طائفـة مـا يناسبها، حينذاك، على غرار قسمة الاخوة، بحيث ان الأخ الذي يشرف على تقسيم الارث، يأخذ ما يتبقى، بعـد ان ينتقـي الجميع. أنا أقدم نموذجا. أنا أريد علمنة الدولة. ولكن هل يمكنك ان تفعل ذلك إذا كان الشعب اللبنـاني لا يريـد العلمنـة. وهناك مسار اعلامي وجدلي وتربوي سيأخذ وقتا، ثم تطرحه على استفتاء عام. نحن اقلية مقتنعة بالعلمنة كحل ولكن هـل الشعب مقتنع؟ أما هم فيضعون في مواجهتك رجال الدين. نحن لا نريد ان نحرم هؤلاء رأيهم ولكن لنا نحن أيضا رأينـا، ولكن هل تستفتي الشعب؟ يقولون لك ان الشعب اللبناني لا يريد. هذا يقول لك ان المسلمين يرفضون. ولكن من تحدث؟ هل شخص واحد يتحدث عن المسلمين؟ وهل يمكن لمن تمس به هذه المسألة ان يقبل بها؟ فلا رجل الدين المسلم ولا رجل الدين المسيحي يريدان العلمنة، لا الآن ولا بعد خمسين سنة.

لماذا العلمنة؟

لأنها تكرس حق الاختلاف مع الآخر. وحين تكرس هذا الحق، تكرس الديموقراطية الحقيقية. لأن حق الاختلاف مع الآخر، لا ينحصر بالرأي، بل يشمل الزواج والمعتقد الديني. فاللبناني بحاجة الى الاختلاف مع الآخر، ليس بين طائفـة وطائفـة أخرى، بل أيضا ضمن الطائفة الواحدة.

نحن نبحث في شيء والعالم يذهب باتجاه آخر؟

هذه طريق جهنم ولن اسير عليها. وليس الضروري ان تسير الأكثرية على طريق تكون طريق الجنة؛ ومن يخلص نفسـه من الحريق يعد فيصحح. نلاحظ اليوم ان أهم رجل سياسة في لبنان هو رجل الدين، في سائر الطوائف، باستثناء الطائفـة الدرزية؟ هذه طريق جهنم. وهذا معتقد سياسي لا يستهدف أيا كان.

قرنة شهوان

موقفك ملتبس من <<قرنة شهوان>>، ولكن الواضح ان لك مآخذ منها، ولكن ما هو موقعك منها؟

نحن اجتمعنا في <<قرنة شهوان>> لتكون مفتوحة لكل الناس. وان يكون اللقاء لتعزيز تيار السيادة والاستقلال والتوجه الذي نسير به. نحن خرجنا من اللقاء لأنه لم يحترم هذا الموضوع. هناك أناس في اللقاء لا يمكن ان يكونوا نوابا في انتخابات حرة، تم وضعهم بمساواة <<التيار الوطني الحر>> في اتخاذ القرار. وشعرنا، قبل خروجنا، ان هناك هجمة علينا. إن شاء الله يضاعف عددهم لينزلوا إلى الشارع.

هناك من يقول انك تتلاقى موضوعيا والسلطة ضد قرنة شهوان؟

ما هذه الكذبة. ما هذه الكذبة. ان قرنة شهوان محاولة احتوائية لكل المعارضة. وهي قصة كلام بكلام. وقالها اميل لحود: أنتم قولوا ما تريدون ونحن نفعل ما نريد، ولكن ممنوع ان تنزلوا الى الشارع. ومن هنا اصبح الاضراب عنفا والمظاهرة عنفا. هذا يعني ان هناك تحريفا في المفاهيم الشعبية، يأتي من قرنة شهوان او ممن يحيط بها. هنا يوجد تشابك ضدنا وليس معنا. كيف يقولون للناس انه لا يمكنكم التعبير. ان التيار الوطني الحر، له قوى شعبية تعبّر عن نفسها في المهندسين والمحامين والنقابات والطلاب، ومع ذلك لا ندَّعي اننا نمثل كل الناس، فكيف يمكنهم ان يحصروا التعبير بأنفسهم، وهم لا يمثلون شيئا. انهم ديكتاتورية من طرف آخر. هناك ديكتاتوريتان تكمل إحداهما الأخرى.